

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله واستقيموا على طاعته فعلى الاستقامة مدار السعادة قال تعالى {فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فأمر الله تعالى نبيه بالاستقامة وهو □ على الاستقامة التامة فكان الأمر بمعنى التأكيد، وبمعنى الدوام والثبوت عليها إلى أن يلحق بالرفيق الأعلى. وأمر الله من تاب معه أي أصحابه رضي الله عنهم وأمتهم الذين آمنوا به واتبعوه أن يستقيموا كذلك على طاعة الله دون طغيان وعلو ومجازرة للحد ودون تفریط وإهمال وانحلال.

وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) تَحْنُ أُولِيَائِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}

في هذه الآيات الكريمة بشائر عظيمة لمن استقاموا على طاعة الله وداموا وثبتوا عليها حتى وافاهم الأجل، فبشرهم ربهم بأن الملائكة تنزل عليهم عند الموت تبشرهم وتطمئنهم لا تخافوا من المستقبل الذي أنتم مقدمون عليه لأنكم مقبلون على رب كريم، غفور رحيم، مقبلون على روح وريحان ورب راض غير غضبان، ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم من الأهل والمال والولد فنحن نخلفكم فيهم.

ثم تبشرهم بالجنة التي وعد الله بها أهل التوحيد فنقول لأهل الاستقامة (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فيؤمن الله خوفه، ويُقر عينه فلا يبقى هول من أهوال يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله ولما كان يعمل في الدنيا كما قال بعض السلف.

ويستمر حديث الملائكة عند احتضار المؤمن الذي استقام على أمر ربه قائلة (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي نحن كنا "فَرِئَاءَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، نُسَدِّدُكُمْ وَنُؤَفِّقُكُمْ، وَتَحْقَطُكُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ تَكُونُ مَعَكُمْ فِي الْآخِرَةِ نُؤَيِّنُ مِنْكُمْ الْوَحْشَةَ فِي الْقُبُورِ، وَعِنْدَ النَّفْحَةِ فِي الصُّورِ، وَنُؤَمِّنُكُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ وَالشُّورِ، وَنَجَاوِرُ بِكُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَنُؤَصِّلُكُمْ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ"

ثم تبشر أهل الاستقامة بما أعد الله لهم في الجنة فنقول (لكم فيها ما تشتهي أنفسكم) أي لكم فيها كل ما تختارون مما تشتهي النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ما تدعون) أي مهما سألتهم ومهما تمنيتهم أعطيتهم ومهما رغبتهم فيه وجدتموه حاضراً بين أيديكم كما طلبتم . (نزلاً من غفور رحيم) أي أن هذا النعيم الذي بشرتم به هو الضيافة التي تقدم للضيف عند أول نزوله "والكريم إذا أعطى هذا النزول، فما ظنك بما بعده من الألفاظ والكرامة" أي إذا كان هذا النعيم كله هو المقدمة فما ظنك بما بعد ذلك من أنواع الكرامة وأصناف الضيافة.

وأكد الله تعالى بشارة أهل الاستقامة فقال في موضع آخر {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (13) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

وإذا كانت هذه البشائر لأهل الاستقامة في الآخرة فلهم بشارة عاجلة في الدنيا كما في قوله تعالى {وَأَلُو اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً عَذْقًا} أي لوسعنا لهم في الرزق وبسطناه لهم وباركنا لهم فيه كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} وقوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}

فالاستقامة على توحيد الله وطاعته سبب لخير الدنيا والآخرة أسأل الله تعالى أن يجعلني وإياكم ممن قالوا ربنا الله ثم استقاموا إنه سميع مجيب الدعاء، أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله واستقيموا كما أمركم الله والاستقامة هي لزوم الصراط المستقيم والدوام عليه حتى يلقي العبد ربه فأساس الاستقامة وأصلها الاستقامة على التوحيد واجتناب الشرك قال أبو بكر الصديق في تفسير قوله تعالى (ثم استقاموا) قال: "هم الذين لم يشركوا به شيئاً" وقال ابن عباس: "استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله". وقال مقاتل: "لا تخلطوا التوحيد بشك".

فالتوحيد هو أصل الاستقامة ولا تنفع الطاعات بلا توحيد كما لا تنفع الصلاة بلا طهارة. فصرف العبادة لغير الله كالبدع والاستغاثة والذبح والنذر مفسد مبطل متلف للتوحيد أعادنا الله وإياكم من الشرك كله صغيره وكبيره وواضحه وخفيه.

ثم الاستقامة على فعل الواجبات وترك المعاصي والمحرمات وهذه استقامة واجبة وهي درجة المقتصدین. ثم الاستقامة على ذلك مع الاستقامة على فعل النوافل والمستحبات وترك المكروهات والمشتبهات وهذه درجة السابقين. وهم أعلى رتب أهل الاستقامة. قال عمر رضي الله عنه على المنبر: "اسْتَقَامُوا وَاللَّهِ عَلَى الطَّرِيقَةِ لِطَاعَتِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْعُوا رَوْعَانَ النَّعَالِ" وقال الحسن: "اسْتَقَامُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ فَعَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَاجْتَنَبُوا مَعْصِيَتَهُ" وقال الفضيل: "رَهْدُوا فِي الْقَائِنَةِ وَرَعِبُوا فِي الْبَاقِيَةِ"

إخوة الإيمان: إذا كان أهل الاستقامة في الدنيا ليسوا على درجة واحدة في الاستقامة فنوابهم عند الله يوم القيامة كذلك ليس على درجة واحدة فكلما كانت الاستقامة أكمل كان الثواب والنعيم أعظم.

فاحرصوا على الاستقامة وعلى تحصيل أسبابها ومن أعظم أسباب الاستقامة العلم النافع ومجاهدة النفس وصحبة أهل الاستقامة ودعاء الله والإلحاح عليه بالاستقامة والثبات، وترك ربط الطاعة بموسم معين كما يفعله بعض الناس يطيع الله في شهر رمضان ثم يعصيه بعد ذلك فالاستقامة على طاعة الله لا نهاية لها إلا الموت.

اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وثبت قلوبنا على طاعتك واصرفها عن معصيتك. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين اللهم آمنا في دورنا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا اللهم وفق إمامنا خادم الحرمين الشريفين وولي عهده بتوفيقك وأيدهم بتأييدك وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة يا رب العالمين. اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات اللهم ارحم موتى المسلمين اللهم اغفر لهم وتجاوز عن سيئاتهم وافسح لهم في قبورهم ونور لهم فيها اللهم جازهم بالحسنات إحسانا وبالسيئات عفوا منك وغفرانا، اللهم فرج هم المهمومين واقض الدين عن المدنيين واشف مرضانا ومرضى المسلمين.

اللهم أمّن حدودنا وانصر جنودنا اللهم ثبت أقدامهم واربط على قلوبهم وأنزل السكينة عليهم اللهم اشف مصابهم وتقبل شهداءهم واخلفهم في أهلهم بخير يا رب العالمين، اللهم اهزم عدوهم وفرق كلمتهم وزلزل الأرض من تحت أقدامهم. إنك أنت القوي العزيز.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.